الشِّعر الفارسيُّ بين الهَزْلِ والعَذْل عُبَيد الزَّاكانيّ أنموذجًا[1]

Moustafa ALBAKOUR[2]

ملخّص

حَفَلَ الأدبُ الفارسيُّ بأنواع أدبية عدّة، والهزلُ أحدُ الأنواع الأدبية المهمّة التي ولِدت مُتأخِّرةً في بلاد فارس لأسباب عدّة. وعلى الرغم من وجود الهزل في معظم مراحل الأدب الفارسي إلا أنّ الشاعر عُبيد الزاكاني (ت. 772هـ) كان أحد أهم أدباء الفارسية الذين ارتبطت أسماؤهم بهذا الغرض الأدبيّ. ولِد الزاكانيُّ في بداية القرن الثامن الهجري، وعاصرَ مأساةَ الغزو المغوليّ للعالم الإسلامي، وقد كانت إيران آنذاك تعيش في حالة من الانقسامات والصراعات، وهنالك أحسّ الزاكاني بالقهر والظلم، فاضطرّ لاستخدام أسلوب خاص في أدبه يختلف عن الأغراض الأدبية التقليدية. وترك مجموعة من الأعمال المهمّة لفهم تاريخ تلك المرحلة والتحولات التي طرأت على الشعر الفارسي، ولعلّ منظومته الشعرية *الهرّ والفأر* إحدى أهم أعماله، وهي، على قِصَرها، تموج بكثير من القيَم والأساليب الجديدة، وقد سعتْ هذه المقالة إلى استقراء أهمّ مقولاتها وأهدافها؛ فعرضنا لأبعادها التربوية، والدينية، والسياسية، والتاريخية، والأدبية وغيرها. إنّ هذه المضامين التي حفلت بها هذه المنظومة أسهمت في خلودها في ذاكرة الإيرانيين، وشيوعها على ألسنتهم عبر أجيالهم الطويلة وطبقاتهم المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الأدب الفارسيّ، العصر المغوليّ، الهزل، عبيد الزاكاني، الهرّ والفأر.

[1] Makale Geliş Tarihi/Received: 23.11.2025 / Makale Kabul Tarihi/Accepted: 22.12.2025
[2] Dr. Öğr. Üyesi, Arap Dili ve Belagatı Bölümü, İlahiyat Fakültesi, Artvin Çoruh Üniversitesi, m.albakour1977@artvin.edu.tr, ORCID: https://orcid.org/0000-0001-9135-3511.

Mizah ve Yergi Arasında Fars Şiiri: Ubeyd-i Zâkânî Örneği

ÖZ

Fars edebiyatı çeşitli edebi türler açısından zengindir ve mizah, çeşitli nedenlerle İran'da nispeten geç ortaya çıkan önemli türlerden biridir. Mizah, Fars edebiyatının çoğu döneminde var olmuş olsa da şair Ubeyd-i Zâkânî (ö. 772 H.), adı bu edebi amaçla anılan en önemli Fars yazarlarından biriydi. Hicri sekizinci yüzyılın başlarında doğan Zakânî, Moğol istilasının İslam dünyasında yarattığı trajedilere bizzat tanıklık etmiştir. Dönemin İran'ındaki siyasi bölünmeler ve çatışmalar karşısında kendisini baskı altında ve haksızlığa uğramış hisseden şair; geleneksel edebi temalardan uzaklaşarak kendine özgü bir üslup geliştirmiştir. Zâkânî, dönem tarihini ve Fars şiirindeki dönüşümleri anlamak adına büyük önem taşıyan bir külliyat bırakmıştır. Bu eserlerin içinde, kısalığına rağmen yeni değerler ve özgün üsluplarla örülü olan *Mush-o Gorbeh* (Fare ve Kedi) manzumesi şüphesiz en önemlisidir. Bu makale; söz konusu şiirin en temel temalarını ve amaçlarını ele alarak; eserin eğitsel, dini, siyasi, tarihi ve edebi boyutlarını incelemeyi hedeflemektedir. Şiire nüfuz eden bu temalar, şiirin İranlıların hafızasında kalıcı bir yer edinmesini ve nesiller boyu tüm toplumsal sınıflar arasında yaygınlaşmasını sağlamıştır.

Anahtar Kelimeler: *Fars Edebiyatı, Moğol Dönemi, Mizah, Ubeyd-i Zâkânî, Mush-o Gorbeh.*

Persian Poetry Between Humor and Satire: The case of Ubayd-i-Zakani

ABSTRACT

Persian literature is rich in various literary genres, and humor is one of the important genres that emerged relatively late in Persia for several reasons. Although humor existed in most periods of Persian literature, the poet Ubayd al-Zakani (d. 772 AH) was one of the most important Persian writers whose name is associated with this literary purpose. Al-Zakani was born at the beginning of the eighth century AH and lived through the tragedy of the Mongol invasion of the Islamic world. At that time, Iran was experiencing divisions and conflicts, and al-Zakani felt oppressed and wronged, which compelled him to use a unique style in his literature, distinct from traditional literary themes. He left behind a collection of important works for understanding the history of that era and the transformations that occurred in Persian poetry. Perhaps his most important work is his poem "*Mush-o Gorbeh*" which, despite its brevity, is brimming with new values and styles. This article has sought to explore its most important themes and objectives, presenting its educational, religious, political, historical, literary, and other dimensions. These themes, which permeate this poem, have contributed to its enduring place in the memory of Iranians and its widespread use across generations and social classes.

Keywords: *Persian literature, Mongol era, humor, Ubayd-i-Zakani, Mush-o Gorbeh.*

مقدمة

ذهب النقاد القدماء مذاهب مختلفة في أنواع الشعر الفارسي وخصائصه وأساليبه، وصنَّفوا كثيراً من المؤلفات في هذا الباب، بيد أن تصنيفاتهم للشعر الفارسي لم تتعدَّ أنواعاً ثلاثة وهي: الشعر التمثيلي، والشعر الغنائي، والشعر الحماسي. وذهب نقاد آخرون، ولا سيما المتأخرون منهم، إلى إضافة أنواع أخرى للشعر الفارسي، كشعر الحكمة (الوعظ) ، وشعر الوصف، إلا أنهم لا يعدّونهما أنواعاً شعرية مستقلّة وأصليّة، وعادةً ما يتبعونهما الأنواع الثلاثة السابقة.[3] وقد خاض الأدب الفارسي ولا سيما في العصور الكلاسيكية في معظم هذه الأنواع والمضامين الإنسانية؛ جدّها وهزلها، فرحها وحُزنها، قويّها وسهلها، فطاف في عوالم الحماسة والغناء والمسرح والتعليم، بين مديح ورثاء، ووصف وتصوّف، وأخلاق وفلسفة ورواية، وغزل وخمريات ومناظرات، وهجاء وهزليات ومطايبات، بين أدب رمزي وشعبي، بين مؤلفات ومنظومات طويلة أو مقطوعات قصيرة، بين حقيقة ومجاز، وغير ذلك من هذه الأشكال والمضامين.

وعلى الرغم من ذلك فإن الأدب الفارسي القديم يخلو في الحقيقة من غرض أدبي مستقل باسم الهزل، وقلما وجدنا انتقاداً اجتماعياً رمزياً بأسلوب الهزل والسخرية والهجاء، لأن أدب ذلك العصر يحوم في غالبه حول البلاط ورجال البلاط وأسياده، وقلما تجرّأ أحد على انتقاد أفعال هؤلاء الرجال ومؤسسة البلاط، كما يندر وجود الأدباء الذين تجاوزوا في أشعارهم الهزلية أهواءهم الخاصة وخلافاتهم الشخصية مع الآخرين إلى النقد

[3] ذبيح الله صفا، *حماسه سرايى در ايران؛ از قديميترين عهد تاريخى تا قرن چهاردهم هجرى*، (تهران: انتشارات فردوس، 1333ش)، ص2- 4.

الاجتماعي وإصلاح الأمة، ولذا فإن معظم ما قيل في الهزل الفارسي باستثناء آثار معدودة من مثل منظومة القط والفأر للزاكاني، وأبيات حافظ الرندية وأمثالها، لا يتعدى أن يكون خلافاً شخصياً وردود فعل على مسائل خاصة.[4] وعلى قلة الهزليات وندرتها فإنها ظلت أحد أهم الأشعار الفارسية وأكثرها خصوصية وتأثيراً في الشعب عبر قرون طويلة، وهي تستحق دراسات مستفيضة على قلتها وكثرة ما كُتب عنها، ولا سيما منظومة القط والفأر.

1. الهزل في المعاجم العربية وآدابها:

أوردت المعاجم العربية معان عدّة للفعل (هزلَ يهزل هَزْلاً) من ذلك: هزَل الشَّخصُ مزَحَ، وعكسُه جَدَّ. وهُزِلَ الْمَرِيضُ أو فلان ضَعُفَ ونَحُفَ، وهزَل القومُ: قلَّتْ أموالُهم، وهَزَلتْ حالُ فلان: رقَّتْ وَافْتَقَرَ وجارَتْ عليه الأيّامُ. فخلاصة معاني هذا الفعل تتراوح بين المزاح والضعف والفقر والنقص والمرض. وهنالك معان اصطلاحية جديدة لهذه الكلمة، فوفقاً لمعاجم المصطلحات الأدبية والفنّيّة فإن المسرحيَّة الهَزْليَّة هي مسرحيّة تتضمن مواقف المرَح والتهريج والإضحاك المفرط بصورة قد تصل إلى حدّ الابتذال، وذلك بقصد الترفيه والتَّسلية. والأوبرا الهزليَّة بحسب الموسيقيين هي نوع من فنون الأوبرا تمتاز بحبكة هَزْليّة، وتعتمد على الحوار وتنتهي نهاية سعيدة.[5]

[4] يحيى آرين پور، *از صبا تا نيما*، (تهران: انتشارات زوار، 1372ش)، 2/ 38.
[5] للمزيد انظر مادة (هزل) في: *أساس البلاغة، ومختار الصحاح، ولسان العرب، ومعجم الأصوات، المعجم الوسيط، ومعجم اللغة العربية المعاصر*.

إنّ استقراء هذي المعاني والأقوال التي وردت في المعاجم اللغوية العربية حول معاني الهزل يجد أنها في الغالب سلبيةٌ غيرُ محمودةٍ، فالهزل هو اللعب والكذب والباطل، وهو ضد الجدّ الذي يعني الصدق والحق.[6] والحق أن مصداق تلك المعاني وأبرزها يرد جليّاً في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (الطارق، 13- 14)، أي ليس بباطل بل هو جَدّ وحقّ. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "ثَلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكاحُ والطَّلاقُ والرَّجْعَةُ".[7]

كما وردت حِكَمٌ بليغة وأمثال سائرة في هذا الباب، تحذّر من الهزل بمعنى المزاح واللهو واللغو والمجون والاستهزاء والاستهتار، من ذلك ما يروى عن الإمام عليّ كرّم الله وجهه في قوله: "الهزلُ فكاهةُ السُّفهاءِ وصناعةُ الجُهّال"، وقوله: "الكامل من غلبَ جِدُّه هزلَه"، و"احذرِ الهزلَ واللّعِبَ وكثرةَ المزَحِ والضَّحك والتّرهات"، و"أعقلُ الناس من غلب جِدُّه هزله واستظهر على هواه بعقله"، و"غلبة الهَزل تُبطِل عزيمة الجِدّ"، وقوله أيضاً: "كثرةُ الهَزل آية الجهل".[8]

وقد سار الأدب العربي في مختلف عصوره على هذا النحو في نبذِ الهزل في الأقوال والأفعال، ولعلها سِمَةٌ تنسجم في الأصل مع الشخصية العربية البدوية وسماتها النازعة إلى الجدّ والشدّة، المتأتّية من قسوة بيئتها الصحراوية وظروفها المناخية الحادّة،

---

[6] محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم *المصطلحات والألفاظ الفقهية*، (القاهرة: دار الفضيلة، 1419هـ/ 1999م)، 3/ 453.

[7] ابن أرسلان الرَّمْلي (ت. 844هـ)، *شرح سنن أبي داود لابن رسلان*، (الفيوم: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، 1437هـ/ 2016م)، 9/ 612.

[8] هادي النجفي، *موسوعة أحاديث أهل البيت*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1424هـ/ 2002م)، 12/ 48.

وشظف العيش وشدة الصراع القَبَليّ، وهواجس هجمات الأعداء والغزوات، وما إلى ذلك من متطلبات الحياة القبلية في صحارى الجزيرة العربية، التي تستدعي في مجملها حالة من الجِدّ والحزم، والقوة والصرامة، فبدا العربيُّ حادّ المزاج، جادّ السلوك، حازماً صارماً، لا يميل إلى هَزْل ولا يرتاح إلى فكاهة أو دُعَابة، لأنها برأيه من مظاهر الخفّة والحماقة، ولا يليق بالرجل أن يكون ضعيفاً خفيفاً. وإذا وجدوا في رجل دُعابة أو ميلاً إلى ضحك أو إضحاك عابوا ذلك الرجل وانتقصوا من شأنه كائناً من كان. وعبارات من قبيل: "لا عيبَ فيه غير أنَّ فيه دعابة" هي من العبارات التي تعبّر عن الانتقاص والهمز واللمز.[9]

بيد أن هذا لا يعني أنه لم يكن للعرب شعر هزلي في جاهليتهم، فالتنادر شيء أصيل في الفطرة البشرية وفي المذاهب الأدبية، فاحتوت أشعارهم نوعاً من التهكم، ولا سيما في مواضع الهجاء والمواقف الخطيرة، فالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ وَبِضِدِّها تتميَّزُ الأشياءُ.[10] فأدب الهزل والتهكم الذي كان منبوذاً نادراً في عصرَي الجاهلية وصدر الإسلام، بات منتشراً فيما بعد، وأسهمت في ذيوعه عوامل عدة منها: فساد المجتمع وشيوع الترف والبذخ نتيجة الفتوحات الواسعة والاختلاط بكثير من الأقوام الجديدة، ولا سيما الفرس والروم والتُّرك، فراح شعراء العربية، من العرب وغيرهم من الناطقين بالعربية، يتفنّنون في أساليب الهزل والمجون، وقد كان ذلك سبباً من أسباب رزقهم ومعاشهم وتكسُّبهم بأشعارهم، فضلاً عن رغبة الخلفاء والأمراء بجذب من يُضحِكهم ويسلّيهم في

[9] جواد علي، *المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، (بيروت: دار الساقي، الطبعة الرابعة، 1422هـ/ 2001م)، 5/1.

[10] شمس الدين ابن قيم الجوزية، *مدارج السالكين*، (بيروت: دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1416هـ/ 1996م)، 1/ 164.

بلاطهم ومجالسهم. بيد أن هؤلاء الشعراء الهزليين المهرّجين لم يكونوا من الفحول والمتميزين في عصرهم، ولا يشبهونهم في شيء من البلاغة والإبداع والجمال.[11] وإن متطلبات هذه الأشعار وضروراتها الجديدة لم تشفع لها بين الناس ولم تجعلها مُستساغة في ضمائرهم كي تصبح مقبولة في مجالسهم العامة، فغصّت كتب الأدب والفلسفة وغيرهما من كتب التراث العربي بالتحذير من الخلط بين الهزل والجدّ، يقول أبو حيان التوحيدي (ت. 400هـ):

يا ربّ هزلٍ كان منه الجِدّ		وربّ مزحٍ كان منه الحِقد[12]

وحذّر بعض الشعراء من الخلط بين الجد والهزل في مسائل خطيرة كالعشق، يقول ابن خاتمة الأنصاري (ت. 770هـ):

هزلُ المحبّة جدّ والهوان هوى		والصّبُّ يتلف بين الجدّ والهزل[13]

وفي ذلك يقول أبو الطيب صدّيق خان (ت. 1307هـ): "لم أرَ حقاً أشبه بباطل ولا باطلاً أشبه بحق من العشق، هَزْلُه جِدّ، وجدُّه هزلٌ، أوّلُه لعِبٌ، وآخرُه

[11] مصطفى صادق الرافعي، *تاريخ آداب العرب*، (لندن: مؤسسة هنداوي، 2017)، 753.
[12] أبو حيّان التوحيدي، *الإمتاع والمؤانسة*، تحقيق: هيثم خليفة الطعيمي، (بيروت: المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ/ 2005م)، 1/ 261.
[13] لسان الدين بن الخطيب (ت. 776هـ)، *الإحاطه في أخبار غرناطة*، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ)، 2/ 345.

عطبٌ".[14] ودعا بعض الشعراء إلى اعتزال مجالس الهزل وأهله، ولعلّ الأشهر في هذا الباب لاميّة ابن الوردي (ت. 852هـ)، ومطلعها:

اِعتزلْ ذِكْرَ الأغاني والغَزَل		وقُلِ الفَصْلَ وجانب مَن هَزَلْ[15]

إن استقراء أهمّ كتب التراث العربي تُظهر بجلاء لا لبس فيه أن الهزل ظلّ من المفاهيم المنبوذة أدبياً وأخلاقياً، سواء في الجاهلية أو في الإسلام، ولم يتعدَّ أصحابه مرتبة المهرّج المتخبّط والمتندِّر المقهقِه، والماجن السخيف، ولذلك أسباب وضرورات عرضنا سابقاً بعضها.

2. الهزل في المعاجم الفارسية وآدابها:

الهزل في الفارسية مأخوذ من الفعل (هزل) العربي، ولهذا فهو لا يختلف في معناه ودلالته ومضامينه عمّا أوردته المعاجم العربية ومصادر التراث العربي، ولذلك تضمنت الفارسية كثيراً من الأشعار التي تذمّ الهزل وتمجّد الجدّ والحزم. وظلّت موضوعات أدب الهزل تتعارض في تصورات الشعب مع مكارم الأخلاق ومبادئ الآداب.[16]

والأدب الفارسي الذي خلّدته دواوين شعرائه الفحول ومصادر تاريخ الأدب الفارسي هو في مجمله أدب جدّي لا هزل فيه، تحوم معانيه حول موضوعات قومية ودينية وتربويّة مصيرية وخطيرة، وتجلى في فنون الحماسة والتاريخ والتصوف والحكمة والفلسفة،

---

[14] أبو الطيب صديق خان، *نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان*، (القاهرة: المطبعة الرحمانية، ط1، 1338هـ/ 1920م)، 20.

[15] سراج الدين ابن الوردي، *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، تحقيق أنور محمود زناتي، (القاهرة: مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، 1428هـ/ 2008م)، 6.

[16] علي أكبر دهخدا، *لغت نامه*، (تهران: انتشارات دانشگاه تهران، 1376ش)، هزل.

لكن هذا الأمر لم يمنع من تسلّل أبيات وحكايات ومقولات ذات مضامين هزلية إلى أرجاء تلك الموضوعات الجدية الخطيرة، بل بات ذلك سمة تكاد تنتشر في معظم دواوين الشعر الفارسي ونثره. وباتت الهزليات جزءاً من الأدب الفارسي، تتناثر أبياتها في دواوين الشعراء الإيرانيين ومذكرات الأدب والمؤلفات النثرية ذات الموضوعات المختلفة، لكن هذا الهزل لم يكن خفيفاً سخيفاً بل كان في مجمله حمّالاً لمقاصد وأهداف لا تقل أهمية وخطورة عن الأشعار الجدّيّة، وكان يُلجأ إليه في مواقف وحالات وأزمنة خاصة تستدعي ذلك، ويقدّرها أديب الفارسية بحكمته وفطنته وتقديره للمواقف والظروف التي يعيش فيها. ولأن التمييز بين الهزل ومقاصده ليس بالأمر السهل فقد نبه إلى ذلك الشعراء، وحذّروا من الوقوع في شراكه، ولعل السنائي الغزنوي (ت. 525~535هـ) أولَ شعراء الفارسية المشهورين ممن ذكر الهزل في أشعاره، وشكا من انتشاره في زمانه، ونبه من فساد الهزليين والمهرّجين، ودعا للتعامل مع هذا النوع من الأدب بفطنة وحذر، يقول:

ای دریغا که در زمانه ی ما		هزل آید به کارخانه ی ما
هزل را خواستگار بسیار است		زنخ و ریشخند در کار است
میل ایشان به هزل بیشتر است		هزل، الحق زجد عزیزتر است
مرد را هزل زی گناه برد		جد سوی عالم اله برد
چون تو جد یافتی ببر از هزل		تا از آن مملکت نباشی عزل
من چو زین شیوه رخ بتافته ام		هر چه کردم طلب، بیافته ام
از ره هزل پا برون بردم		تختهٔ دل ز هزل بستردم[17]

[17] سنائي غزنوي، *مثنويهايى حكيم سنائي، مثنوي طريق التحقيق*، تصحيح محمد تقي مدرس رضوي، (تهران، دانشگاه تهران، 1384ش)، 137- 138.

والمعنى: "وأسفاه في عصرنا هذا، تسلّل الهزل إلى عالمنا هذا.

فكثيرٌ من الناس يطلب الهزل، وانتشرت السخرية والاستهزاء بالعمل.

يرغبون بالهزل أكثر، وصار من الجِدِّ أعزّ وأكبر.

الهزل يقود المرء نحو الإثم والجدُّ يسمو به نحو الإله.

إذا واجهتَ جدّاً فخذه على محمل الهزلِ كي لا يُحكم عليك هنالك بالطرد والعزل.

ولأنني أعرضتُ عن الهزل فقد نلتُ ما طلبتُ بهذا العمل.

فنأيت بنفسي عن طريق الهزل، وطهّرتُ صفحة القلب من الهزل.

ويقول ابن عصره الشاعر ناصر خسرو (ت. 453هـ) معرِّضاً بشعر أحد الهزليين:

برهزل وقف كرده زبان فصيح خويش1		بر شعر سخف كرده دل وخاطر منير[18]

أي: لقد كرّس لسانه البليغ للهزل، ووقف قلبه وروحه للشعر السخيف. وأما مولانا جلال الدين الرومي (ت. 672 هـ) فجعل الهزل قريناً للكذب، وعدّه سداً في وجه إشراق الروح، يقول:

[18] ناصر خسرو، *ديوان قصايد ومقطعات*، به اهتمام: حسن تقى زاده، مجتبى مينوى، علامه دهخدا، (طهران: مطبعه مجلس، 1304 – 1307ش)، ص156.

گوشِ سَر بَربَند از هَزْل ودروغ		تا ببینی شهرِ جانِ با فروغ[19]

أي: توقف عن الاستماع إلى الهزل والكذب، حتى تبصر مملكة الروح المشرقة.

ودعا مولانا إلى استخدام هذا النوع من الشعر بوعي وجدية، فالشعر قد يبدو هزلياً مُضحكاً في بعض الأحيان، إلا أنه ينبغي التعامل معه بحكمة وفطنة خلافاً لنظرة الحمقى والمغفلين. وكانت لمولانا فلسفة خاصة تجاه هذا النوع من الشعر، فهو، وإن بدا هزلياً مُضحكاً، إلا أنه، وخلافاً لنظرة الحمقى والمغفلين، درسٌ جدّيٌّ، يقول:

هزل تعلیم است آن را جد شنو هر جدی هزلست پیش هازلان		تا ببینی شهرِ جانِ با فروغ هزلها جدست هزلها جدست پیش عاقلان[20]

والمعنى: الهزل درسٌ، اِصغِ إليه وكأنه جدٌّ، ولا تنخدع بمظهره الهزلي

كلُّ جَدٍّ هو هزل عند الهزليين، والهزليات جدٌّ عند العاقلين.

فالفكاهة والهزليات التي أقرّها أدباء الفارسية وصوفيتهم، وإن كانت تافهة، إلا أنها لا تخرج عن دائرة الحقيقة. وهذا بحد ذاته له جذوره في التعاليم والتقاليد الدينية والتقاليد الأدبية، يقول عبد الرحمن الجامي (ت. 898هـ):

[19] جلال الدين الرومي، *مثنوي معنوي*، تصحيح: رينولد نيكلسون، (طبعة بريل، 1929م)، دفتر سوم/ ص8.

[20] جلال الدين الرومی، *مثنوی معنوی*، دفتر چهارم/ 489.

باغ خنـــــدان ز گـــــل خنـــــدان اســـــت		خنده آیین خردمندان است...
دل شـــود رنجـــه ز جـــدّ، شـــام و صـــباح		می کن اصلاح مزاجش به مزاح
جـــدّ" بُـــوَد پا بـــه ســـفر فرســـودن		"هزل"، یك لحظه به راه آسودن...
لیـــك هـــزلی نـــه کـــه از دود دروغ		برد از چهره قدر تو فروغ
تخم کین در دل دانا کارد		خوی خجلت به جبینها آرد[21]

الحديقة المبتسمة تصنعها أزهارٌ مبتسمة، والضحك ديدن الحكماء ...

القلب يتكدّر من الجِدّ مساء صباح، ويمكن إصلاح مزاجه بالمزاح

الجد يُتلف الأقدام في رحلة قاهرة، لكن الهزل يطوي الطريق بلحظة عابرة...

لكنه ليس الهزل المنبعث من دخان الكذب والنفاق، لأنه ينزع من الرجل النور والإشراق

ويبذر الحقد في قلب الحكيم، ويخلّف العار على الجبين.

وقد كان هؤلاء الشعراء يسخِّرون كل الموضوعات والمضامين لإيصال رسالتهم التربوية والتعليمية لمريديهم وتلامذتهم، ممن كانوا من طبقات اجتماعية مختلفة، يفتقر بعضهم إلى التعليم، ويحتاج كثير منهم إلى التسلية والترفيه لإدراك المفاهيم الصوفية ومعانيها العميقة، فكانت الحكايات والهزليات والمطايبات إحدى الوسائل اللازمة لتحقيق تلك المقاصد وتبليغها للناس.

[21] عبد الرحمن جامي، *مثنوی هفت اورنگ*، تصحيح ومقدمه: آقا مرتضى ومدرس گيلانى، (تهران، كتابفروشي سعدى، 1337ش)، ص 550.

3. عبيد الزاكاني؛ حياته:

لعل المعلومات المتوافرة عن حياة عبيد الزاكاني محدودة، وهي لا تتعدى ما ذكره كلٌّ من حمد الله المستوفي (ت. 750هـ)، معاصر عبيد الزاكاني نفسه، ومن بعده دولت شاه السمرقندي (ت. 913هـ). وهو خواجه نظام الدين (أو مجد الدين) عُبَيدالله الزاكاني القزويني، ولد بقزوين في نحو عام 690هـ. إلا أن بعض الباحثين عدّوا ميلاده حوالي عام 710هـ، وتوفي في شيراز سنة 772هـ. [22]

اشتهر الزاكاني بألقاب وأسماء عدة منها: "مفخر الفضلاء"[23] و"عُبيد"، ولعل "الزاكاني" أشهر تلك الألقاب، ومردّ ذلك لانتسابه إلى قبيلة "زاكان" وهي أحد فروع قبيلة بني خفاجة العربية، والتي هاجرت إلى إيران واستقرت حول قزوين. ويبدو أن لتلك القبيلة فرعين مشهورين أكثر من غيرهما، الأول يمتاز بالعلم والأدب، والثاني بالوزارة والإدارة، وإذا كان هنالك من ينسب الزاكاني إلى أصحاب الفرع الثاني لكنه يظل بحكم

---

[22] للمزيد عن حياة عبيد الزاكاني ومؤلفاته، انظر المصادر الآتية:
- دولتشاه السمرقندي، *تذكرة الشعراء*، (طهران، چاپخانه خاور، 1338ش)، 217- 221.
- عبيد زاكاني، *كليات عبيد زاكانى*، با مقدمه در شرح احوال و آثار عبيد بقلم عباس اقبال آشتيانى، (تهران: انتشارات زوار، 1321ش)، مقدمه، ترجمه ى احوال، بيست و دو – چهل و يک.
- هرمان إته، *تاريخ ادبيات فارسى*، ترجمه رضا زاده شفق، (تهران: انتشارات بنگاه ترجمه ونشر كتاب، 1337ش)، ص118- 119.
- إدوارد براون، *از سعدى تا جامى*، ترجمه جلد سوم از تاريخ ادبيات فارسى، (تهران: چاپخانه ى دانشگاه تهران، 1339ش)، ص212- 340.
- ذبيح الله صفا، *تاريخ ادبيات درايران*، جلد سوم، بخش دوم، (تهران: انتشارات فردوس، 1369ش)، 963 – 985.
- عباس اقبال آشتيانى، *تاريخ مفصل ايران: دوره مغول*، (تهران: انتشارات نگاه، 1402ش)، ص550- 552.

[23] دولتشاه السمرقندي، *تذكرة الشعراء*، ص217.

الادّعاءات والظنون، خلافاً للفرع الأول حيث تشير مؤلفاته وما روي عنه أنه كان صاحب علم وأدب ومعارف واسعة، ومن جملة ذلك اللغة العربية وآدابها. وقد تلقى تعليمه في شيراز، ثم عاد إلى مسقط رأسه في قزوين التي أمضى فيها بقية حياته.[24] ولعل التأمّل في أشعاره وما وصلنا من تفاصيل حياته يشير إلى أنه جمع في شخصيته هاتين الصفتين: العلم والصدارة، ويبدو أن مقامه العلمي والأدبي الذي كان يمتاز به قد جعله في مقام مرموق لدى سلاطين زمانه وفي بلاطهم، وهذا ما أشار إليه في مدحه للشاه شجاع المظفري، يقول:

مرا همیشه سلاطین عزیز داشته اند		ز ابتدای صبی تا باین زمان و اوان[25]

والمعنى: لقد دأب السلاطين على إكرامي، منذ كنت صبيّاً حتى هذا الزمن.

هنالك حقيقة حالة من الإبهام تغطي سيرة هذا الشاعر كما ذكرنا، والمصادر التي تناولته معدودة والمعلومات التي وردت عنه محدودة، ولأن الإنسان ابن عصره فإنه لا مناص من الاطلاع على الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي كانت سائدة في الحقبة التي عاش فيها في إيران في القرن الثامن الهجري لفهم بعض خفايا حياته وأبعاد أدبه وسماته[26]؛ ففي أوائل القرن السابع الهجري شنت الأقوام المغولية حملة مدمِّرة على إيران بزعامة جنكيز خان، وتركت من خلفها دماراً عظيما ودماراً رهيباً في مدن

[24] ذبيح الله صفا، *تاريخ ادبيات درايران*، نفسه.

[25] صفا، *تاريخ ادبيات درايران*، نفسه، 965- 966، *وتذكرة الشعراء*، ص217 فما بعد.

[26] أبو الفضل نبني، *اوضاع سياسي واجتماعي إيران در قر هشتم هجرى*، (مشهد: انتشارات دانشگاه مشهد، 1375ش)، 175- 177.

إيران وحواضرها الشرقية، ويمكن الاطلاع على نتائجها في مصادر تاريخية كثيرة.[27] وبعد سنوات من الخراب والدمار عاد جنكيز خان إلى بلده مغولستان، تاركاً إرثاً رهيباً من القتل والتخريب والدمار في البلاد الواسعة التي اجتاحتها جيوشه، ومنها بلاد فارس.

وبعد عودته تسلّم حكم إيران قادته بمساعدة بعض العائلات الإيرانية، الذين تابعوا غزوه نحو الغرب، وضموا مزيداً من البلاد، ومن أهم هؤلاء القادة هولاكو الذي استولى على معظم أقاليم إيران، ثم أسس حكومة الإيلخانيين المغول، وأسقط حكم الإسماعيليين في قزوين والعباسيين في بغداد. وقد حكم هولاكو وخلفاؤه إيران نحو 82 عاماً من 456- 736هـ، وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الإيلخانيين المغول. والحق أن هذه المرحلة من أكثر مراحل التاريخ الإيراني تحولاً وتغيراً، سقطت فيها سلطة العباسيين في إيران، وانتشرت المذاهب والأديان الأخرى، نتيجة الحرية التي سادت في تلك الحقبة، وفي نهاية المطاف اعتنق الإيلخانيون الإسلام. توفي آخر الحكام الإيلخانيين أبو سعيد بهادر خان سنة 736هـ دون أن يكون له وريث من سلالته، فتفرقت إمبراطوريته الكبيرة إلى دويلات وطوائف وفرق كثيرة، وأسّس كلٌّ من الطامعين بالسلطة حكومة في ركنٍ من أركان إيران، وتواصلت الصراعات الدامية للسيطرة على إيران إثر الفراغ في السلطة الذي تركه سقوط حكم الإيلخانيين، حتى تدخل تيمورلنك (737- 807هـ) مؤسس

[27] لعل من أهمها: قاضي منهاج سراج، *طبقات ناصرى*، (كابل: انجمن تاريخ افغانستان، 1342ش)، وعطا ملك جويني، *تاريخ جهانگشاى جوينى*، ثلاة مجلدات، (تهران، دنياى كتاب، 1382ش). ورشيد الدين فضل الله الهمذاني، *جامع التواريخ*، *تاريخ المغول*، المجلد الثاني، مقله إلى العربية: محمد صادق نشأت وآخران، راجعه: يحيى الخشاب، (القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1960م)، وبرتولد شبولير، *المغول في التاريخ*، ترجمة: يونس شلبي الشام، (دمشق: دار طلاس، 1989م). وعباس اقبال آشتياني: *تاريخ مغول*، (تهران: نشر نامك، 1380ش).

الإمبراطورية التيمورية في النصف الثاني من القرن الثامن، ووضع حداً لتلك النزاعات وضمّها جميعاً مع غيرها من البلدان إلى إمبراطوريته بعد أن ارتكب جيشه فظائع من القتل والتدمير لا تقل عن جرائم هولاكو.[28]

ولد الزاكاني وترعرع في قزوين وشيراز في القرن الثامن الهجري في إبان تلك الظروف سالفة الذكر، حيث هيمنت على إيران حالة من التمزق والتفرق أو ما يمكن تسميته حكم ملوك الطوائف، فكان يخضع كل إقليم أو ناحية تخضع لحكم خاص، يتزعمه غالباً سلالات أجنبية غير وطنية ولم يكن هنالك وجود لأية دولة قومية خاصة بالإيرانيين، كما تشير أسماء السلالات والطوائف الحاكمة آنذاك. وبناء على ذلك كانت نيران الحروب الأهلية مستعرة في كل مكان، ودخان الغزو والانتقام يسد آفاق أقاليم إيران ويعمي عيون الشعب فيها، ولا وجود لأي رغبة بينها للتسامح والتوحد، وهذا الأمر جعل الأطراف جميعاً ضعيفة ومنهارة. والأمر لم يقتصر على الصراع بين السلالات والطوائف فحسب، بل وصل إلى الصراع داخل العائلة نفسها؛ بين الأب والابن، وبين الأبناء أنفسهم، وبين الأعمام وغير هؤلاء من أفراد الأسرة، فهذا يقتل أخاه، وهذه يقلع عين أبيه وهكذا.[29]

إن الاضطراب السياسي في إيران آنذاك رافقه اضطراب اجتماعي، فباتت حياة الناس عرضة للقتل والغزو والنهب والتعدي على أعراض الناس وحقوقهم وممتلكاتهم، بدون أدنى رادع أو عدالة تحميهم. كما أن الأمراض الفتاكة والآفات الطبيعية والقحط

---

[28] للمزيد انظر: جورج لين، *ايران در اوايل عهد ايلخانان*، رنسانس ايرانى، ترجمه: سيدابوالفضل رضوى، (تهران: انتشارات اميركبير، 1389ش).

[29] ذبيح الله صفا، *تاريخ ادبيات در ايران*، نفسه، بخش سوم، 1/ 1- 49.

والفقر والمجاعة كان لها نصيب كبير بين الناس. وكل ذلك كان يُشيع حالة من الألم واليأس والخوف من المجهول بين الناس، علاوة على شعور بالسخط على الحكام والتمرد على الحكومات التي ينضوون تحتها، وفي المقابل يخلق حالة من التفسخ الاجتماعي والفردية والاغتراب وفقدان الشعور القومي أو الوحدة بين الأفراد. كما ظهرت حالة من التظاهر بالتقوى والتدين والالتزام الديني كوسيلة لتحقيق أهداف ومآرب سياسية، في وقت كانت التشعبات المذهبية والخلافات بين الملل والفرق سبباً في تمزق البلاد وتصارع الشعب والحكومات والطوائف، ولا سيما بين السُّنّة والشيعة الذي استمر إلى قرون لاحقة، بل ما تزال آثاره باقية حتى الآن.[30] ومن الناحية الاقتصادية أدت الأوضاع السياسية والعسكرية سالفة الذكر إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية، فبات اليأس والحسرة والشكوى لسان حال الناس، ولا سيما الشعراء.

ولعل تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية السيئة قد قادت الناس نحو العقائد الجبرية، وأدت تلك العقائد الجبرية إلى تجريد الناس من شعور المقاومة والقوة، وشيوع اليأس والاستسلام فيما بينهم، وهو أيضاً ما دفعهم تجاه المذاهب الصوفية والميل إلى الزهد والانزواء، إلّا أن هذا الزهد والتصوف نفسه قد امتزج بنوع من الرياء والنفاق بين مريديه وبعض أئمته والمروجين له والمتملقين له سواء من الحكام أو الشعراء والشعب.

لكن هذا الفساد والإفساد، والتملق والنفاق، والظلم والقهر والاضطراب، لم يكن ليمرّ مرور الكرام آنذاك، فقد تصدّى له كثير من الأدباء الشجعان وسخّروا للحديث عنه مؤلفاتهم وأشعارهم ومكانتهم التي كانوا عليها في البلاط وبين الناس، ولعلها

[30] نفسه، 49- 103.

أدت إلى نموّ باب جديد من أبواب الأدب الفارسي وصياغة شخصيات ونماذج أدبية إيجابية أو سلبية وتعبئتها بأرفع الصفات وأكمل السمات للتحبيب بها، أو بأسوأ القيم والأخلاق للتنفير منها، بعد أن صاغوها بالأدوات الفنية والأساليب الأدبية البلاغية الجذابة والمطلوبة لمواجهة تحديات تلك المرحلة الخطيرة، وكان ظاهرها التهكم والهزل وباطنها الجدّ والنقد والعذل. و

كان الأدباء أهم فرسان تلك المرحلة، ولعل لشهرتهم ومكانتهم بين الناس ورجال البلاط الدور الأكبر في تأثير تلك الهزليات وإحداث صحوة بين الناس، ومن هؤلاء الأدباء: سعدي الشيرازي (ت. 691هـ) ولا سيما في منظومتيه البوستان والگلستان، والأوحدي المراغي (ت. 737هـ) في منظومته جام جَم، وخواجو الكرماني (ت. 763هـ) في بعض أشعاره، وحافظ الشيرازي (ت. 729هـ) في غزلياته، إلا أنّ الأهم والأكثر تأثيراً في هذا الباب كان عبيد الزاكاني.[31]

4. مؤلفات عبيد الزاكاني:

تنقسم المؤلفات والآثار التي تركها عبيد الزاكاني إلى قسمين؛ شعرية ونثرية، ولكلٍّ منها وجهان هزليٌّ وجدّيٌّ، وقد طبعت جميعاً في مجلد واحد في طهران يضم نحو 330 صفحة، والزاكاني بشكل عام، وبحسب ما وصل إلينا، مُقِلٌّ جدّاً في تأليفه مقارنه بمعظم أدباء الفارسية، فأبياته الشعرية تبلغ نحو ثلاثة آلاف بيت فقط، وتضم: قصائد وغزليات ومقطوعات ورباعيات، ورسالة التعريفات ومكتوبات وترجيع بند وتضمينات، ومنتخب

[31] صفا، نفسه، ص234.

اللطائف وهي هزلياته، وتتضمن عدداً من الفصول والعناوين وعلى رأسها "موش وگربه" أي القطّ والفأر.[32]

إن ما يعنينا هنا أن هذه المؤلفات النثرية والشعرية صورة لمفاسد عصر الزاكاني، وعيوب أهل زمانه وبيئة الفساد والاضطراب التي كان يعيش فيها، وجهل الحكام، وهيمنة الفاسدين والحمقى على الحكم، كل ذلك بدا في مؤلفاته الهزلية فضلاً عن الجدّيّة، ولم يكتف بالتصوير بل ذمَّ الأوضاع السيّئة التي آلت إليها البلاد في عصره، ولا سيما أصحاب السلطة ورجال الدين والتصوف، ولعل هذا بات ديدن الشعر الفارسي آنذاك، فبات الأدب مصدراً مهماً للتعرف على تاريخ إيران في غير مصادر التاريخ التقليدية، ومرد ذلك لأسباب عدة أهمها حالة الحرية التي أتيحت للناس في شتى مجالات الحياة، ولا سيما الدينية والمذهبية، فضلاً عن سعة معارف هؤلاء الشعراء وقربهم من مواضع الحدث وبلاط الحكّام، ولم يقتصر الأمر على تصويرهم لحوادث تلك الحقبة المضطربة بل تجرّؤوا على النقد والطعن بما كانوا يرونه فساداً بأساليب عدّة.

5. الزاكاني بين الهَزْل والعَذْل:

لعلَّ معظم الذين اشتغلوا في فنِّ الهزل أو الهجاء لدى عبيد الزاكاني انطلقوا من مقولة تقليدية تسعى لدراسة واقعية تلك الأشعار، ومدى مطابقتها للواقع والظروف السياسية والاجتماعية والدينية التي سردناها عن عصر الزاكاني في القرن الثامن الهجري، وأنَّ أشعاره لم تكن سوى استجابة لتلك الظروف، فسعوا للكشف عن مدى مشابهة

[32] عبيد زاكاني، *كليات عبيد زاكاني*، تصحيح و مقدمه عباس اقبال آشتياني، (تهران: انتشارات إقبال، 1334ش).

مضامين شعره لأحداث تلك الفترة، والعمل على مطابقة شخصيات أشعاره وعناصر أدبه مع ما كان يجري آنذاك من صراعات بين حكام الدويلات والطوائف في بلاد فارس، وحالة التردّي والانحطاط الحضارية آنذاك، ومن ثَمّ عدّوا أدبه موقفاً سياسياً له، وظِلّاً لما كان يجري ليس أكثر. إن هذه التصورات والدراسات قد تكون مفيدةً إلى حدٍّ بعيد، ويمكن الإفادة من شعره لفهم ما كان يحدث، لكن من غير الصواب حصر المسألة في هذا الإطار، ومن السذاجة تحويل الزاكاني إلى مؤرّخ وتأطير أدبه بأبعاده التاريخية فحسب.

إن الأدب بشكل عام يتضمن كثيراً من الإشارات التاريخية، وقد تكون الأعمالُ الأدبيّةُ متمِّمةً لبعض نواقص مصادر التاريخ التقليدية، وقد يكون الأديب مؤرِّخاً تبعاً لما يعرضه من معلومات وإشارات تاريخية، كما قد يكون المؤرّخ أديباً تبعاً لأسلوبه وتعابيره البلاغية في تأليفه التاريخي، وقد يكون الشعر وثيقةً تاريخيةً ومصدراً من مصادر دراسة التاريخ[33]؛ إلا أن تقييد شعر شاعر ما بحقبة محددة وربطه بحادثة أو شخصيات تاريخية مرجعية إنما هو بمثابة تجميده وقتله، فالشِّعرُ بحسب أرسطو أكثر فلسفة من التاريخ وأعلى قيمة منه، لأنه يميل إلى التعبير عن الحقيقة الكُلّيّة أو العامّة، بينما يميل التاريخ إلى التعبير عن الحقيقة الخاصة أو الفردية، وهذه الحقيقة الكلّيّة أو العامة هي التي يهدف إليها الشعر.[34]

---

[33] طراف طارق النهار، *دور الشعر العربي في توثيق الأحداث التاريخية، تاريخ خليفة بن خياط أنموذجاً*، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، المجلد الحادي والثلاثون، العدد: 02، 2024، ص30.

[34] أرسطو، *فن الشعر*، ترجمة إبراهيم حمادة، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1982)، ص114.

لقد قسّم النقّاد الشخصيات الأدبية إلى ثلاثة أنواع: واقعية أو تاريخية، وهي الموجودة حقاً في الحياة ولها مرجعية في مصادر التاريخ، والثانية خيالية أو عجائبية، وهي الأسطورية أو الخرافية التي تفتقد تماماً إلى الوجود الحقيقي، وليس لها مرجعية في الواقع، والثالثة تخييلية، وهي التي ساهم الأديب في تشكيلها وإضفاء طابع الحياة عليها بجعلها تعايش الشخصيات الواقعية المرجعية. وهذه التخييلية لها كثير من الملامح الواقعية التي تجعلها قابلة للتصور، كأن يكون اسمها ونسبها موجوداً في التاريخ، لكن نوعية عرضها وتفاصيل سيرتها والمبالغات فيها لا تتسق أبداً وسيرتها الحقيقية الثابتة.[35] وبغضّ النظر عن تصنيفات هذه الشخصيات فهي متداخلة فيما بينهما، وقلّما فصَل الشعراء في أشعارهم بين ما هو واقعيّ أو خياليّ أو تخييليّ، وحلّقوا بعيداً في المجاز والخيال وبات عندهم "أعذب الشعر أكذبه"، ولعلّ كلّ ذلك جعل الشعر أكثر فلسفة وجمالاً وخلوداً من التاريخ.

إنّ إلقاء نظرة في أدب القرن الثامن الهجري تجعلنا نقف أمام نتاجَين أدبيَّين جديدَين يمكن أن نُصنّفهما تحت عنوان الإبداعات التخييلية، الأول هو شخصية "الرِند" للشاعر حافظ الشيرازي، والثاني هو حكاية "الهِرّ والفأر" لعبيد الزاكاني. وعلى الرغم من وجود هذين الإبداعين من قبل إلّا أنهما عملا على صوغهما بأسلوب ومضامين تخييلية جديدة، وتسخير هذا التخييل بذكاء غير مسبوق لتحقيق أهداف كبيرة ومآرب خطيرة، ولا نبغي التفصيل كثيراً في رنديّات حافظ الشيرازي وما فيها من تمرّدات غير مألوفة

[35] سعيد يقطين، *قال الرواي؛ البنيات الحكائية في السيرة الشعبية*، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1997)، 92- 93.

وهزليات جادة وسمات إيجابية كثيرة[36]، فتركيزنا في هذا البحث سينصبّ على منظومة *الهرّ والفأر* للزاكاني.

تضم قصيدة الهرّ والفأر اثنين وتسعين بيتاً شعرياً نظمها الزاكاني على البحر الخفيف، وتتلخّص في حكاية هرّ ادعى التوبة عن إيذاء الفئران، وأظهر الصلاح وفعل الخيرات، فحظي بمحبة الفئران وثقتها به، وصدّقته والتفت حوله. وهنالك، وفي لحظة من الجوع، انقضّ عليها والتهم منها ما وصلت إليها يداه، وأما الهاربة منه فوصلت إلى رفيقاتها، وبلّغت ما حلّ بأبناء جنسها الأخرى من بلاء، فجمعت الفئران بعضها بعضًا وقررت الهجوم على الهرّ للانتقام منه، وحينما علم الهرّ بنواياها جمع هو الآخر أصحابه الهررة، وجرت بينهما حرب شرسة، تمكن فيها الهررة من قتل كثير من الفئران، وهربت البقية.

إن صراع الهرّ والفأر ليس موضوعاً جديداً في الآداب العالمية ومنها الأدب الفارسي[37]، فقد ورد ذكر حكايات مماثلة لها ضمن كتب من قبيل كليلة ودمنة ومَرزبان نامه، وبلبل نامه وغيرها،[38] ولا شك في أنّ الزاكاني نفسه قد سمع بعض الحكايات والأشعار والأمثال الشعبية عن الهررة والفئران، وتأثّر برواياتها، واستقى أفكاره منها، وسخَّر مقولتها الأصلية لمقاصد وغايات أكثر جدّية وخطورة وجمالاً من السرد التاريخي أو المنظومات الأدبية التي ذكرتها. وبغض النظر عن البنية الأصلية لهذه الحكاية الموروثة

---

[36] عبدالحسين زرين كوب، *از كوچه رندان*، (تهران: انتشارات سخن، 1274ش)، 5.

[37] للمزيد انظر: حسن ذو الفقاري، *موش و گربه سوابق ونمونهای داستانهای موش و گربه در ادب فارسی*، (شيراز: مجله علمی پژوهشی مطالعات ادبيات كودك دانشگاه شيراز، سال سوم، شماره ی اول، بهار وتابستان 1391ش)، 47- 70.

[38] نفسه، ص 52.

الشائعة، فقد تعامل الزاكاني مع هذه الثنائية الضدية تعاملاً خاصّاً، وإذا كان الشاعر العربي ابن العلّاف النهرواني (ت. 218هـ) قد رثى هرَّهُ، وعدَّه حارساً أميناً ومدافعاً عن الأرزاق التي يسعى الفأر لتخريبها والعبث بها، فقال:

يا هِرُّ فارقْتَنا ولم تَعُدِ		وكنتَ مِنَّا بمَنْزِل الولدِ
وكيف ننفكُّ عن هواكَ وقد		كنتَ لنا عُدَّةً من العُدَد
تطردُ عنا الأذى وتحرسنا		بالغيب من حَيّةٍ ومن جُرَد
وتُخرِجُ الفأر من مكامنها		ما بين مفتوحها إلى السُّدَد[39]

أما الزاكاني في منظومته *القط والفأر* فقد ذهب مذهباً آخر خلافاً لابن العلاف، فجعل الهرّ مظهراً للتعدي والشر، والخبث والقسوة والمكر.

إن الهرَّ هو الهِرُّ، وإن الفأرَ هو الفأر، والقضية الأهم هي رمزية هاتين الشخصيتين وما يوحيان به في الخلفية الأدبية والثقافية، ولعل هنالك مئات المعاني والكنايات والأمثال الفارسية حولهما تغصّ بها المعاجم اللغوية والدلالية والتراث الشعبي المدوّن والشفاهي، من ذلك:

"گربه در دُكّانِ شيشه گر" والمعنى: هرَّة في دكّان الزجاج. (كنايةٌ عن وجود عوامل التخريب والأذى، كالفأر المتخفّي في بَيْتِ الطَّعام).

و"گربه شير است در گرفتنِ موش ليک موش است در مصافِ پلنگ" أي: الهِرُّ أسدٌ في التقاط الفأر، لكنه فأرٌ أمام الفهد.

[39] شوقي ضيف، *تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني*، (القاهرة: دار المعارف، 1973م)، ص219.

و"گربه که دستش به گوشت نمی رسد می گوید: گنده"، أي: حين لا تصلُ يدُ الهرّ إلى اللحم يقول عنه إنه فاسدٌ.

و"گربه را بر موش کی بوده است مهر مادری": متى كان الهرُّ يرأف بالفأر ويشفق عليه كالأمّ؟

و"گربه را در حجله باید کُشت"، أي: ينبغي قتل الهرّ في الحَجَلة. (الحَجَلَة: سِتْرٌ يُضرب للعَروس في جَوف البيت، وهنا كنايةٌ عن ضرورة إظهار الحزم والشدَّة والرجولة في بداية كلِّ أمرٍ، ولا سيَّما في ليلة الزفاف كما يعتقد البعض). ويقول الشاعر سعدي الشيرازي:

گربه ی مسکین اگر پَر داشتی		تخم گنجشک از هوا برداشتی[40]

والمعنى: إذا نبتت أجنحةٌ للهرّ المسكين فسوف يلتقط بيوض الطيور من الهواء.

ويقول أيضاً:

گربه شیر است در گرفتن موش		لیک موش است در مصاف پلنگ[41]

والمعنى: الهرُّ أسدٌ في التقاط الفأر، لكنه فأرٌ أمام الفهد.

ومن الأمثال الفارسية: "گربه دستش به دنبه نرسید گفت گنده است، أي: حينما يعجز الهرّ عن الوصول للحم يقول عنه إنه فاسد.

[40] سعدي شيرازي، *گلستان*، بكوشش خليل حطيب رهبر، (تهران: انتشارات صفي عليشاه، 1376ش)، ص261.

[41] سعدي شيرازي، *گلستان*، نفسه، ص41.

و"گربه را بر موش کی بوده ست مهر مادری"، أي: متى كان للهرّ عطف على الفأر.

و"گربه روغن میخورد و بی بی دهان مرا بو میکند"، أي: الهرّ يأكل الزيت والسيدة تشمُّ فمي. (هي تذنب وعليَّ اللوم).

و"گربه که به تنگنا افتد چشم آدمی را برآرد"، أي": إذا وقع الهرُّ في ضيق قلع عين الإنسان.

و"گربه هفت جان دارد": للهرّ سبعةُ أرواحٍ.

و"همه شب گربه موش را به خواب بیند": الهرَّ يحلم بالفأر طوال الليل.

و"صد موش را یک گربه کافیه": هِرٌّ واحد يكفي لمئة فأر.

و"خود را به موش مُردگی زدن": يتماوت كالفأر.

و"دیوار موش دارد، موش گوش دارد": في الجدار فأرٌ، وللفأرِ أُذُنٌ.

و"کوه کندن وموش بر آوردن": حفرَ الجبل فخرج فأرٌ. (تمخَّضَ الجبلُ فولد فأراً)؛ وهو مثل يضرب للكبير يأتي بأمرٍ صغير، كناية عن ضياع العمل وتبدُّد الجهد.

و"موش به سوراخ نمی رفت جاروب به دمش بست": الفأر الذي لا يدخلُ جحرَه تقتله المكنسة.

و"موش خودش چیست که کلّه وپاچه اش چی باشد": الفأرُ هو الفأرُ فكيف هي أحشاؤه؟ (مثلٌ يقال لمن يُهدِّد مَن حوله بكلماتٍ بذيئةٍ ووضيعةٍ، على الرغم من وضاعته وحقارته).

و"موشِ زنده بهتر از گربه ی مرده است": الفأرُ الحيُّ خيرٌ من الهرِّ الميت.

و"موش کور نمی خواهد که آفتاب برآید": الفأر الأعمى لا يريد أن تشرق الشمس. (كنايةٌ عن الخائنِ الخائفِ من افتضاح أمره ومحاسبته على جرمه).

و"موش وگربه چون به هم سازند وای بر دکان بقّالی": إذا اتَّفق الفأرُ والهرُّ فالويل لدكَّان البقَّال.

و"هیچ گربه ای برای رضای خدا موش نمیگیره": لا هرَّ يمتنع عن اصطياد الفئران لأجل رضا الله.[42]

6. مقولات حكاية القط والفأر

لعل عناصر الأدب في العصور الموّاجة بالخوف والاضطرابات أكثر دلالةً وعمقاً وإبهاماً وإيهاماً منها في العصور التي تعيش فيها الأمم بحُرّيّة وسلام ورفاهية وأمان. ومما لا شك في أنّ حكايات الحيوانات في ذلك الأدب هي الحكايات الأكثر إثارة وجدلية، ولعلها الأكثر جاذبية وشعبية لدى قرّاء الأدب الفارسي، وهي كثيرة ومتنوعة، وقلما خلا منها عصر من عصور ذلك الأدب، منذ العصور الأسطورية إلى يومنا هذا، سواء أكانت مستقلة كحكايات الطيور في منظومة منطق الطير لفريد الدين العطار والهرّ والفأر

[42] للمزيد انظر: *لغت نامه دهخدا*، گربه، موش.

للزاكاني وكليلة ودمنة وغيرها، أو متناثرة ضمن المؤلفات المنظومة أو المنثورة، ولا سيما في أدب التصوّف والأدب التربوي والتعليمي.

وتتأتى أهميتها من وجود شبه بين عالم الإنسان والحيوان أو عالم الغاب، ومن تعدد مقاصدها وأهدافها وتنوّع أوجه تلقّيها وكثرة دلالاتها، بتعدد العصور والأزمنة وتغير الأجيال والأمم، ولعل هذا هو سر خلودها واستمرارها، وجمالها وجاذبيتها.[43] إن حكاية الهرّ والفأر حكاية قديمة كما ذكرنا[44]، ويصعب الجزم بروايتها الأولى، ولعل كثرة الدلالات المعجمية والكنايات والأمثال الشائعة عن شخصياتها الأصلية، تدلل على قدمها وسعة انتشارها بين الناس، وهي، وإن كانت تبدو بسيطة في مقولتها لكن تلك الأمثال والحكم والروايات الكثيرة تشير إلى قابليتها للتأثُّر والتأثير، والزيادة والنقصان، والبقاء والتجدد، تبعاً للأوضاع السياسية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشعوب التي تتداولها وترويها، ولعل أهم المقولات والأهداف التي حملتها تلك الحكاية أو التي ما تزال مغيبة وممكنة، وتشيع كثيراً في المخيلة الشعبية يمكن تلخيصها بما انطوت عليه من أهداف بالآتي:

6.1. أهداف تربوية ووعظية

لعل هذه الأهداف هي الأكثر ظهوراً ووضوحاً للقارئ، وهذا ما أشار إليه الزاكاني في مطلع أبياتها، فهي رسالة أخلاقية يخاطب بها العاقلين وطلاب الحكمة، وليس طلاب الهزل والمهرجين، حيث يقول:

---

[43] للمزيد عن حكايات الحيوانات في الأدب الفارسي انظر: محمد تقوي، *حكايتهاى حيوانات در ادب فارسى*، (تهران: انتشارات روزنه، 1395ش).

[44] حسن ذو الفقاري، *موش و گربه سوابق ونمونهاى داستانهاى موش و گربه در ادب فارسى*، نفسها.

ای خردمندِ عاقل و دانا قصهٔ موش و گربهٔ منظوم		قصهٔ موش و گربه برخوانا گوش کن همچو دُرِّ غلتانا [45]

والمعنى: "أيها العاقل العالم الحكيم، اقرأ قصةَ الفأر والقط،

اسمع قصة الفأر والهر المنظومة كدُرر مدوَّرة".

وتبقى العبرة بفهم رمزيتها وما وراء رموزها لاستنباط أهدافها وعظاتها، وهذا ما ختم به الزاكاني قصته حينما قال:

هست این قصهٔ عجیب و غریب جان من پند گیر از این قصه غرض از موش و گربه برخواندن		یادگار عبید زاکانا که شوی در زمانه شادانا مدعا فهم کن پسر جانا[46]

والمعنى: "هذه قصة عجيبة وغريبة من إرث عبيد الزاكاني،

خذ العبرة يا روحي من هذه القصة لتعيش سعيداً في الدنيا.

افهم المغزى من قراءة حكاية الفأر والهرّ، وافهم الغرض يا ولدي الحبيب".

والحق أن هذه العبرة هي درُّ الكلام الذي وعد الزاكاني بتقديمه في بداية حكايته، فهي كنز من الدرر والعبر، لا تخفى على أحد، ولعل من أهم العظات التي يستنبطها العاقل الحكيم من هذه القصة هي خطورة الجدال مع الظالم اللئيم، وضرورة النأي عن مجابهة الأشرار مهما تغير لونه وتبدلت الأطوار.

[45] عبيد زاكاني، *كليات عبيد زاكاني*، ص230.
[46] عبيد زاكاني، *كليات عبيد زاكاني*، نفسه، ص 333.

ولعل هذه المقولة تتناسب والأزمنة التي يغلب فيها اليأس والإحباط على الشعوب، وقد يكون من تلك الأزمنة عصر الزاكاني نفسه في القرن الثامن الهجري وما تلاه من أزمنة، حيث كان الناس يرزحون تحت غمامة اليأس والإحباط وانتشار الظلم، وغياب الرحمة والعدل إثر الدمار الذي خلفه غزو المغول لإيران والعالم الإسلامي، وما تبعه من صراع وتناحر بين الدويلات والطوائف الحاكمة هنالك، وهيمنة القوي على الضعيف دون أي مانع أو رادع. إنه عالم الغاب، تحكمه غريزة البقاء للأقوى وتلاشي الضعيف:

ناگهان گربه جست بر موشان		چون مبارز بروز میدانا...
دو بدین چنگ و دو بدانچنگال		یک به دندان چو شیر غرانا[47]

والمعنى: "انقضّ الهرُّ فجأة على الفئران، كالفارس المغوار في يوم الطعان امسك فأرين بهذا المخلب، وفأرين بذلك المخلب، وفأراً بأسنانه كالأسد الهصور".

6.2. أبعاد دينية ومذهبيّة

تحوي حكاية القط والفأر رموزاً وإشارات دينية لا يمكن إغفالها أبداً، وعلى الرغم من أنه لا يمكن فصلها عن حوادث عصر الشاعر والصراعات السياسية والدينية التي كانت سائدة بكثرة آنذاك إلا أنها تظل مناسبة لما تبعها من قرون حتى أيامنا هذه،

[47] نفسه، ص331.

فالصراعات الدينية، كالسياسية والعسكرية، لم تتوقف في بلاد فارس في أي يوم من الأيام، والأدب الفارسي، ظل جزءاً من دائرة الصراعات تلك، يؤثر بها كما يتأثر بها.

لقد كان الزاكاني وكبار الشعراء في عصره، وأهمهم حافظ الشيرازي، يدركون تماماً أن ظاهرة الرياء والنفاق أعظم بلاء يهدد المجتمع، وأكبر خديعة تصيب الناس، وأخطر آفات الدين، وكانوا يدركون بما لديهم من فطنة أن شيوعه مُؤذن بسقوط أهم المقدسات الدينية والقيم الإنسانية، ولأنهم كانوا يعيشون في أجواء من الاستبداد والطغيان السياسي والعسكري، فقد كانوا يدركون خطورة انتقادهم لرموز النفاق السياسي والديني والاجتماعي، فاختاروا الرمزية والغموض في أدبهم على وضوحه، ووجّهوا من خلالها سهامهم الذكية لأهم الشخصيات الحاكمة في عصرهم وأكثرها تأثيراً بين الناس، من قبيل: الإمام، والواعظ والفقيه، والمفتي، والمحتسِب، والشيخ والزاهد، والصوفي، والقاضي، والحاج، وكانت سهامهم تطال المراكز الدينية والاجتماعية لتلك الرموز من قبيل: المسجد، والمحراب، والمنبر، والمدرسة، والسجادة، والصومعة أو الخانقاه الصوفية، ومجالس الذكر. ولأن الرياء والنفاق والزيف والهزل قد تفشّى بين الشخصيات ومواضعها فقد عمد هؤلاء الشعراء، كالزاكاني، إلى مواجهتها والتصدي لها بأسلوب أدبيّ رمزيّ بليغ، ظاهره الهزل والإضحاك وباطنه الجدّ والإحراق، فحوروا في خصائص الشخصيات المقصودة بالنقد، وغيّروا ميادينها وأغاروا على هالاتها المقدسة المصطنعة، فجاء وصفه لذلك الهر التائب التقي الورع بالأبيات الآتية:

از قضای فلک یکی گربه		بود چون اژدها به کرمان
شکمش طبل و سینه‌اش چو سپر		شیر دم و پلنگ چنگانا
گربه آن موش را بکشت وبخورد		سوی مسجد شدی خرامانا
دست و رو را بشست ومسح کشید		ورد می خواند همچو ملانا
بار الها که توبه کردم من		ندَرَم موش را به دندانا[48]

والمعنى: "وحكم القضاء بوجود هرّ في كرمان كالتنّين،

بطنه طبلٌ وصدره كالدِّرع، ذيله كذيل الأسد ومخلبه مخلب نمر.

قتل القطُّ ذلك الفأر والتهمه، ومضى نحو المسجد مزهوّاً

غسل يده ومسح وجهه، وراح يتلو الأذكار كالأخيار

يا إلهي لقد تبت إليك، فلن أمزّق فأراً بأسناني".

خمسة أبيات معدودة الكلمات عبّر فيها الزاكاني عن كثير من المفاهيم الدينية الخطيرة، ولعل أبرزها حينما جعل وجود هذا الهرّ قضاء وقدراً في مكان ما (كِرمان هنا)، وكذلك براعته في التصوير الكاريكاتوري الذي رسم لهذا الهرّ المنفوخ بالدماء والرياء، فهو ضخم كالطبل، وقوي كالدرع، وقاتل كالأسد وجارح كالنمر، ومتعبد كالزاهد التائب، لكنه على قوته وتعبّده قاتل منافق.

وقد يتعاطف البعض مع هذا القط ويفهم المسألة مسألة قضاء وقدر، ورزق ساقه الله إليه وتوكل على الله، يقول:

[48] عبيد زاكاني، *كليات عبيد زاكاني*، 331.

گربه چون موشکان بدید بخواند هر که کار خدا کند به یقین		رِزْقَكُمْ فِي السَّماءِ حقّانا... می شود روزیش فراوانا[49]

والمعنى: "وحينما رأى الهرُّ الفئران قال: رزقكم في السماء حقاً

كل من يطيع الله يقيناً يصبح رزقه وفيراً".

هكذا فهم هذا الهرُّ المتديّن معنى التوكّل على الله والتقوى والرزق، فتوهم أنه المقصود من قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات٢٢] ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق2-3]

وبغضِّ النظر عن الآراء حول هذه الشخصية وتبدل وجهة النظر تجاهها بتبدل الأشخاص والتوجّهات فقد استطاع الزاكاني تقديم تصوير بليغ جداً لشخصية رمزية جمعت سلطتَي القوة أو قوة السلطة، وسلطة الدين أو دين السلطة. ولم يخل هذا التصوير من عناصر هزلية ومُضحكة، لكن هذا الضحك ليس ضحك الفرح والمرح والانشراح، بل هو ضحك جادٌّ مريرٌ، مصحوب باللوم والإذلال، مثير للاشمئزاز والانقباض، ولاذع إلى حد الإيلام.

هذا الهزل المنتشر في هذه القصة وهذا الضحك المرّ والتهكم من هذا الهرّ ظل حياً في ذاكرة المجتمع الإيراني لقرون طويلة، وما يزال موجوداً، يستحضرونه ويستشهدون به كلما صادفتهم مواقف سلبية في رموز السلطة الدينية، أو أرداوا التهكّم منها والحط من قيمتها، ولا سيما في سنوات سيادة الأفكار اللادينية وتكاثر الأحزاب العلمانية، وبروز

[49] عبيد زاكاني، *كليات عبيد زاكاني*، ص331.

الدعوات الإباحية تحت شعارات الديمقراطية والمدنية، فوصلوا إلى الخلط بين الحرية ونقد آفات السلطة الدينية إلى التطاول على أقدس المقدّسات الدينية، وفي ذروتها القرآن الكريم والنبيّ العظيم والفرائض الدينية من صلاة وصيام وحج وغيرها، وبذر مشاعر الشك في المسلمات الدينية والعقائد الإسلامية.

6.3. الأبعاد السياسية

في ظل شيوع الأحزاب الشعبية الثورية أو حركات المقاومة والرجال المتمرّدين قد يتعملق هذا الفأر المسكين في فكر البعض، فيصبح بطلاً جسوراً وأسداً هصوراً يتصدّى للظلم ويثور على الطغيان والاستبداد على الرغم من ضعف قوته في الواقع وخطر تمرده، والمآلات المتوقعة، وهو لا يمثل هنا دور الضحية والمغفَّل والمظلوم بقدر ما هو صوت للشعب الحرّ المقاوم للظلم والمدافع عن حقه في الحياة والوجود الكريم، على صعوبة التحديات وخطورة النتائج. وعلى الرغم من وضوح المآلات فيكفيه بحسب هؤلاء شرف المحاولة وجرأة القيام على الظُّلّام، وكشفه لنفاق العدو وخبثه وظلمه، فضلاً عن اكتساب تعاطف الشعب ونيل مظلومية بين الناس. ولعل هذه الرؤية تتوضح حينما تنظر إلى هذا المشهد الحماسي للمعركة المصيرية التي قامت بين الهررة والفئران في صحراء فارس، ولولا معرفتنا بطرفي النزاع لظننا أنه مشهد من مشاهد الحروب والحماسة في شاهنامة الفردوسي، بين الإيرانيين والتورانيين، وخاصة مع ذكره اسم بطل الحماسة القومية الإيرانية الأكبر رُستم، ومن هنا تتأتى عبقرية الزاكاني وقدرته في تسخير مشهد قد يكون هزلياً لإيصال رسائل سياسية وعسكرية كبيرة وخطيرة، وبمعنى أدق يصنع حماسة هزلية أو هزلاً حماسياً على نحو غير مسبوق في الأدب الفارسي، يقول:

در بیابان فارس هر دو سپاه جنگ مغلوبه شد در آن وادی		رزم دادند چون دلیران هر طرف رستمانه جنگانا...[50]

والمعنى: "اصطف كلا الجيشين في صحراء فارس، وتحاربا كالأبطال

تعاركا في ذلك الوادي، وتصارعا كرُستم سيد الأبطال".

6.4. الأبعاد التاريخية والواقعية

كما ذكرنا سابقاً فإن معظم من تناول هذه القصة سعى للمطابقة بين مضامينها وشخصياتها ومآلاتها، وما كان يجري من حروب ونزاعات بين دويلات وحكام عاشوا هنالك في عصر الشاعر نفسه. وقد ذهب كثير من الدراسين إلى أن الرموز الحقيقية للزاكاني في قصته واضحة ومعروفة، ولا تخفى على أيّ قارئ لتاريخ تلك الحقبة، مُلمٍّ ببعض تفاصيلها والصراعات التي كانت تجري بين حكام ولايات إيران، فالهرّ القاتل كناية عن الأمير مبارز الدين محمد بن مظفر (ت. 765هـ) الذي كان حاكماً على كرمان، وأما الفأر المسكين فكناية عن أبي إسحاق إينجو أمير شيراز (ت. 758هـ)، وتورد الأخبار أن الأول؛ مبارز الدين، كان منافقاً مكروهاً بين الناس، وكان يُظهر نفسه بمظهر المسلم الزاهد التائب الصالح، المتعصب لدينه، الساعي لإجراء الشريعة والأحكام الإسلامية[51]، خدع الثاني أبا إسحاق الذي كان معروفاً بالعدل والإنصاف، ومحباً لأهل

50 عبيد زاكاني، *كليات عبيد زاكاني*، ص332.

51 محمود كتبي، *تاريخ آل مظفر*، تحقيق: عبد الحسين نوايي، (تهران، انتشارات دانشگاه تهران)، 1/ 122 فما بعد.

العلم والأدب، وكان يُلقَّب من قبل حافظ الشيرازي بألقاب عدة من جملتها: "سماء العلم والحياء"، وكان ممدوحاً لدى كثير من الرحالة[52] والشعراء الذين عاصروه.[53]

ولعل الصراع بين آل مظفر وآل إينجو كان قائماً منذ بدء وصول المظفريين إلى الحكم، وقد جرت صراعات وحروب بين الأمير مبارز الدين والأمير أبي إسحاق، وانتهت بمقتل الأخير في سنة 758هـ، واستيلاءالأمير مبارز الدين على ملكه. وقد كان الزاكاني محباً لأبي إسحاق، قضى سنوات من عمره في بلاطه، ونظم أبياتاً في رثائه عند وفاته.[54]والحق أن أهم مدائح الزاكاني كانت في هذا الأمير أبي إسحاق، وقد سمّى منظومته عشّاق نامه باسم هذا الأمير، ولعل كليّات الزاكاني تحوي نحو عشرين قصيدة وكذلك تركيب بند ومرثية وثلاث قطع شعرية تتحدث عن قصر أبي إسحاق.[55]

وعلى الرغم من عدم صراحة الزاكاني في بيان مقصوده من هذا الهرّ القاتل وهذا الفأر المسكين، فإن دلالتها تتوضح أكثر عند مطالعة مؤلفات الزاكاني الأخرى ولا سيما في منظومته الشعرية أخلاق الأشراف، حيث يقول: "إنّ الملوك قد يسفحون مئة دم من أجل مصلحةٍ واحدة"، ويمثل لهؤلاء من تاريخ ملوك العجم إلى خلفاء الإسلام وحتى حكام المغول. [56]

---

[52] أبو عبد الله ابن بطوطة (ت. 779هـ)، *رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تحقيق: عبد الهادي التازي، 5 مجلدات، (الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1417هـ/ 1997م)، 2/ 45.

[53] نفسه، 1/ 107- 110.

[54] قاسم غنى، *تاريخ عصر حافظ*، (تهران: انتشارات زوار، 1383ش)، ص162.

[55] المرجع السابق، نفسه، 171.

[56] عبيد الزاكاني، كليات، *أخلاق الأشراف (لطائف)*، ص172- 173.

6.5. الأبعاد الفنية والترفيهية

لعل الإنسان بطبعه يميل إلى هذا النوع من الحكايات، والتسلّي بها والتلذذ بمشاهدة الصراع بين طرفيها، لذةً ألطفها تجسّدت في شخصيتَي توم وجيري الكرتونيتَين، وأعنفها تلك التي تتجسّد في التلذّذ بمشاهدة مباريات الفنون القتالية العنيفة والتصفيق للضربات القاضية في ألعاب الملاكمة وأنواع المصارعة الخطيرة، فضلاً عن التلذُّذ المازوخي بصراع الحيوانات كالثيران والديوك والكِباش.

وهنالك أبعاد أخرى كثيرة في هذه الحكاية، وهي تظلّ منجماً للاتعاظ والاعتبار أو الاستثمار والإتجار، تغذّيها على الدوام الصراعات البينية بين الثنائيات الضدية المتصارعة ليل نهار، ويندر أن تتصالح مهما تغيرت الأحوال؛ صراعات بين الباطل القوي والحق الضعيف، بين الصادق والمنافق، بين الحيواني والنباتي، بين العقيدة والمنفعة، بين الخبيث والمغفَّل، بين المكر والاستهتار، بين الجدّ والهزل، بين الموت والحياة، بين أصحاب المذاهب والمناصب والشعوب والقبائل. ولعل هذه الأبعاد والمضامين قد اكتسبت هذه الحكاية أهمية وشهرة، فباتت من أهم النصوص الأدبية المدرسية في المناهج الإيرانية، فيندر أن تجد تلميذاً في المدارس الإيرانية لا يحفظ بعض أبياتها.

إن ثنائيات حكايات من قبيل الهرّ والفأر، والثعلب والديك، والأسد والثور، والذئب ومالك الحزين، والأفعى والعصفور، وغيرها من هذه الكائنات المتصارعة هي من الحكايات الشائعة بكثرة لدى معظم شعوب العالم، وهي متوافرة في آدابها المكتوبة والشفاهية، وهي تُروى بمستويات متفاوتة، بدءاً من الأفلام الكرتونية لدى الطفولة البريئة

إلى الفلسفة العميقة، وهي في كل الأحوال، وإن كانت في الأصل تعكس حالة طبيعية من صراع الوجود، إلا أنّها حُمّلت دلالات ومعان إيديولوجية وسياسية وأدبية واجتماعية وصوفية وفلسفية ودينية وغيرها من الأمور التي قد تطيقها أو لا تُطيقها، وظلّت طوال التاريخ منجماً للتأويلات والتفسيرات والروايات بين شعوب العالم، في الجد والهزل. ومن المؤسف حقاً تحول هذه الصراعات الطبيعية القائمة على حب البقاء الغريزي غطاء لتسويغ الصراعات الدموية بين البشر، وتلذذ بعض الأنظمة والبشر بأنهار الدم وهي تسيل من أجساد الشعوب المظلومة المقهورة في كثير من بقاع العالم.

الخاتمة

شهد القرن الثامن الهجري تحولات سياسية وعسكرية كثيرة في إيران، أثرت في حياة الناس وميادين الفكر ومنها الأدب الفارسي، وأدت إلى ولادة إبداع ومبدعين على نحو مختلف، ومن جملة هؤلاء عبيد الزاكاني.

تميّز الزاكاني على قلّة نتاجه الأدبي بهزلياته التي كانت منبوذة في الثقافة الفارسية والتصوّرات الشعبية، وقد استطاع الزاكاني أن يجعل من فن الهزل والتهكم مرآة تعكس شعور القهر والمرارة التي كانت سائدة بين الناس في إبان مرحلة عصيبة من تاريخ إيران بعد الغزو المغولي.

وقد حشد في منظومته الفأر والهر كثيراً من الأهداف العليا التي يصعب الوصول إليها عبر الأساليب العادية والأغراض الأدبية التقليدية، فعلى الرغم من أسلوبها الهزلي والمبالغة والإضحاك، فإنها أدّت رسائل تربوية وسياسية وعسكرية في منتهى الإبداع

والإيجاز، واستطاع من خلالها تخطي حواجز الخوف والرهبة، والتعبير بأسلوب خفي غامض، أكثر وضوحاً وسطوعاً من الشمس، ودائماً ما دامت الحياة.

هذه الرسائل والأهداف التي سعينا لاستخراجها من أبيات هذه المنظومة تدلل على حيوية هذه الحكايات وقدرتها على التجدد والإزهار في كل فصول التاريخ ومناسبتها لكل المراحل والأجيال، ومن الخطأ تقييدها بتاريخ وربطها بشخصيات تاريخية ماتت وغبر عصرها.

لقد أثبت مؤلفون مبدعون في تلك الحقبة كالزاكاني وحافظ الشيرازي أنهم يستطيعون التعبير عن آرائهم وأفكارهم كما يشاؤون، بأساليب مجازية خفية أحيانًا، وبشكل واضح أحيانًا أخرى. وهذه الحكاية أبرز مثال على قدرة الشاعر على تخطي حواجز الخوف والرعب.

المصادر والمراجع

ابن الخطيب، لسان الدين بن الخطيب، *الإحاطه في أخبار غرناطة*، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ.

ابن الوردي، سراج الدين، *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، تحقيق أنور محمود زناتي، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، ط1، 1428هـ/ 2008م.

ابن بطوطة، أبو عبد الله، *رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، تحقيق، عبد الهادي التازي، 5 مجلدات، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، 1417هـ/ 1997م.

أبو الفضل نبني، *اوضاع سياسي واجتماعي إيران در قرن هشتم هجرى*، مشهد، انتشارات دانشگاه مشهد، 1375ش.

إته، هرمان، *تاريخ ادبيات فارسى*، ترجمه رضا زاده شفق، تهران، انتشارات بنگاه ترجمه ونشر كتاب، 1337ش.

أرسطو، *فن الشعر*، ترجمة إبراهيم حمادة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

آرين پور، يحيى، *از صبا تا نيما*، تهران، انتشارات زوار، 1372ش.

آشتيانى، عباس اقبال، *تاريخ مفصل ايران، دوره مغول*، تهران، انتشارات نگاه، 1402ش.

براون، إدوارد، *از سعدى تا جامى*، ترجمه جلد سوم از تاريخ ادبيات فارسى، تهران، چاپخانه ى دانشگاه تهران، 1339ش.

تقوي، محمد، *حكايتهاى حيوانات در ادب فارسى*، (تهران: انتشارات روزنه، 1395ش).

التوحيدي، أبو حيّان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق، هيثم خليفة الطعيمي، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1424هـ/ 2005م.

جامي، عبد الرحمن، *مثنوى هفت اورنگ*، تصحيح ومقدمه: آقا مرتضى ومدرس گيلانى، تهران، كتابفروشي سعدى، 1337ش.

الجوزية، ابن قيم، *مدارج السالكين*، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 1416هـ/ 1996م.

خسرو، ناصر، *ديوان قصايد ومقطعات*، به اهتمام، حسن تقی زاده، مجتبی مینوی، علامه دهخدا، طهران، مطبعه مجلس، 1304 – 1307ش.

دهخدا، علي أكبر دهخدا، *لغت نامه*، تهران، انتشارات دانشگاه تهران، 1376ش.

ذو الفقاري، حسن، *موش و گربه سوابق ونمونهای داستانهای موش و گربه در ادب فارسی*، شيراز، مجله علمی پژوهشی مطالعات ادبيات كودك دانشگاه شيراز، سال سوم، شماره ی اول، بهار وتابستان 1391ش.

الرافعي، مصطفى صادق، *تاريخ آداب العرب*، لندن، مؤسسة هنداوي، 2017.

الرملي، ابن أرسلان، *شرح سنن أبي داود لابن رسلان*، الفيوم، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، 1437هـ/ 2016م.

الرومي، جلال الدين، *مثنوي معنوي*، تصحيح، رينولد نيكلسون، طبعة بريل، 1929م.

زاكاني، عبيد، *كليات عبيد زاكانی*، با مقدمه در شرح احوال و آثار عبيد بقلم عباس اقبال آشتيانی، تهران، انتشارات زوار، 1321ش.

زرين كوب، عبدالحسين، *از كوچه رندان*، تهران، انتشارات سخن، 1274ش.

السمرقندي دولتشاه ، *تذكرة الشعراء*، طهران، چاپخانه خاور، 1338ش.

صديق خان، أبو الطيب صديق خان، *نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان*، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ط1، 1338هـ/ 1920م.

صفا، ذبيح الله صفا، *حماسه سرايي در ايران؛ از قديميترين عهد تاريخى تا قرن چهاردهم هجرى*، تهران، انتشارات فردوس، 1333ش.

ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الثاني*، القاهرة، دار المعارف، 1973م.

شيرازي، سعدي، *گلستان*، بكوشش خليل حطيب رهبر، تهران، انتشارات صفي عليشاه، 1376ش.

علي، جواد علي، *المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*، بيروت، دار الساقي، الطبعة الرابعة، 1422هـ/ 2001م.

عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، *معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية*، القاهرة، دار الفضيلة، 1419هـ/ 1999م.

غزنوي سنائي، *مثنويهايي حكيم سنائي، مثنوي طريق التحقيق*، تصحيح محمد تقي مدرس رضوي، تهران، دانشگاه تهران، 1384ش.

غني، قاسم، *تاريخ عصر حافظ*، تهران، انتشارات زوار، 1383ش.

كتبي، محمود، *تاريخ آل مظفر*، تحقيق، عبد الحسين نوايي، تهران، انتشارات دانشگاه تهران.

النجفي، هادي، *موسوعة أحاديث أهل البيت*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1424هـ/ 2002م.

النهار، طراف طارق، *دور الشعر العربي في توثيق الأحداث التاريخية، تاريخ خليفة بن خياط أنموذجاً*، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، المجلد الحادي والثلاثون، العدد: 02، 2024م.

يقطين، سعيد، *قال الراوي؛ البنيات الحكائية في السيرة الشعبية*، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1997.